مجلَّة الذخيرة للبحوث والدراسات الإسلامية / المجلد 5 - العدد 2 (ديسمبر2021م) [63-97]
قسم العلوم الإسلامية / جامعة غرداية / الجزائر
E-ISSN : 2588-1728 / P-ISSN : 2602-7518
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/793

محبة رسول الله ﷺ وأهل بيته وأصحابه ﵃ بين الوفاء والجفاء

Loving the Messenger of Allah (may Allah bless Him and grant Him peace) and his family and companions, may Allah be pleased with them.

Between loyalty and neglectness

أ.د. رشيد كُهُوس

Pr. Dr. Rachid Khohouss

كلية أصول الدين بتطوان–جامعة عبد المالك السعدي– المملكة المغربية

Rachid1433@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2021/11/02 تاريخ القبول: 2021/11/24

ملخص

البحث دراسة حول مكانة المحبة النبوية في السيرة النبوية العطرة، وذلك من خلال إبراز فضل محبة النبي ﷺوجوبها، ونماذج من محبة الصحابة ﵃ للنبي ﷺ. كما بين البحث مكانة الصحابة ﵃ ووجوب احترامهم ومراعاة حرمتهم، فضلا عن وجوب محبة آل البيت، والوفاء لهم، وعدم المغالاة في محبتهم. وانطلق البحث من إشكالية أساسية وهي: هل محبة رسول الله ﷺ فضيلة أم واجب ديني وشرعي؟ ثم هل حبه ﷺ يقتضي حب آل بيته واحترام أصحابه وعدم الطعن فيهم أو التنقيص منهم؟ وسلكت في حل هذه الإشكالية مسلك المنهج الاستقرائي الذي يتتبع مشاهد السيرة النبوية ونصوصها المتعلقة بموضوع البحث وتحليلها من أجل الوصول إلى أهداف الدراسة التي حددتها فيما يلي: بيان فضل محبة رسول الله ﷺ ووجوبها، والكشف عما يتعلق بها، وإبراز نماذج من المحبين لرسول الله ﷺ من الصحب الكرام. - بيان المنهاج النبوي الوسطي الذي يجمع بين محبة الصحابة ومودة القرابة ﵃. وتحقيقا لهذه الأهداف جاء بحثي في مبحثين: الأول للحديث عن فضل محبة سيدنا رسول الله ﷺ ووجوبها ونماذج من الرعيل الأول الجيل القرآني الخالد الذي تفانوا في حبه الشريف ﷺ. أما الثاني فهو في محبة آل البيت والصحابة ﵃. توصلت من خلال المبحثين إلى نتائج مفادها أن محبة رسول الله ﷺ أصل من أصول الدين وكذلك محبة آل بيته وأصحابه ﵃. وأن المنهج الصحيح يقتضي مودة القرابة واحترام حرمة الصحابة ﵃.

الكلمات المفتاحية: المحبة، النبي صل صلى الله عليه وسلم، آل البيت، الصحابة، الوفاء، الجفاء.

Abstract

This research is a study on the status of prophetic love in the fragrant biography of the Prophet, by highlighting the virtue and necessity of loving

the Prophet, may Allah bless him and grant him peace, and examples of the companions' love, may Allah be pleased with them, for the Prophet, may Allah bless him and grant him peace. The research also showed the status of the Companions, may Allah be pleased with them, and the obligation to respect them and observe their sanctity, as well as the obligation to love the family of the Prophet, be loyal to them, and not be exaggerated in their love.The research started from a basic problem: Is loving the Messenger of Allah , may Allah's prayers and peace be upon him, a virtue or a religious and legal duty? Then does his love, may Allah's prayers and peace be upon him, require loving his family, respecting his companions, and not insulting or belittling them? In solving this problem, I took the inductive approach that traces the scenes of the Prophet's biography and its texts related to the topic of research and analyzed them(according to the analytical method) in order to reach the objectives of the study that I identified as follows:- Explanation of the virtue and necessity of loving the Messenger of Allah , may Allah bless him and grant him peace, revealing what is related to it, and highlighting examples of those who love the Messenger of Allah , may Allah bless him and grant him peace, from honorable companions. Explanation of the middle prophetic method that combines the love of the Companions and the affection of kinship, may Allah be pleased with them. In order to achieve these goals, I made my research into two main topics: The first was devoted to talking about the virtue and necessity of loving our master, the Messenger of Allah, PBUH, and models from the first generation, the immortal Qur'anic generation, who were devoted to his honorable love, PBUH. As for the second topic, I made it for the love of the family of the Prophet and the companions. Through the two chapters, I reached the conclusions that loving the Messenger of Allah, may Allah bless him and grant him peace, is one of the fundamentals of religion, as well as loving his family and companions, may Allah be pleased with them..and that the correct approach requires the affection of kinship and respect for the sanctity of the Companions, may Allah be pleased with them.
Keywords :Love, the Prophet, the familly of the Prophet , companions, loyalty, neglectness

مقدمة

الحمد لله الذي أثبت حبة المحبة في قلوب من أحب واصطفى ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى﴾، والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا محمد الذي ﴿دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾، وعلى آله وأصحابه وأحبابه الذين سبقت لهم من الله الحسنى.

أما بعد؛ فلقد جعل الله طاعة رسوله وصفيه من خلقه ﷺ من طاعته، ومعصيته والتولي عنه كفرا، وبيعته من بيعته، ومحبته من محبته. فقال جل وعلا: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: 31].

فلا فاصل بين حب الله تعالى وحب رسوله المجتبى ونبيه المصطفى ﷺ وحب آل بيته الشرفاء وأصحابه أهل الوفاء ﷺ: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَحِبُّوا اللَّهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ مِنْ نِعَمِهِ وَأَحِبُّونِي بِحُبِّ اللَّهِ وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي لِحُبِّي»(1).

إنه ﷺ العروة الوثقى والمنة العظمى والنور المبين، وقطب دائرة الأنبياء والمرسلين، وطراز أهل الله المقربين الرؤوف بالمؤمنين، الرحيم بالناس أجمعين، فرض علينا حبه وتعظيمه وتوقيره وإجلاله وتوليه.

ولأهمية المحبة في حياة المسلم وفي سيره إلى الله تعالى وترقِّيه في مقامات السلوك، وأثرها البالغ في تحقيق سعادة القلوب وراحتها وطمأنينتها جعلت بحثي هذا للحديث عن محبة سيدنا رسول الله ﷺ وآل بيته الأطهار وأصحابه الأبرار ﷺ.

أسئلة البحث:

- هل محبة سيدنا رسول الله ﷺ فضيلة من الفضائل أم واجب من الواجبات؟
- أليس الطعن في الصحب الكرام ﷺ طعن في أصل عظيم من أصول الدين؟
- ألا ينافي الغلو في محبة آل البيت المنهاج النبوي الوسطي ويوقع في الرفض وثلب من قام الدين على أكتافهم؟

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى ما يلي:

- بيان فضل محبة رسول الله ﷺ ووجوبها.
- الكشف عن أهم المسائل المتعلقة بمحبة رسول الله ﷺ.
- إبراز نماذج من الصحابة المحبين لرسول الله ﷺ من أجل التأسي بهم والاقتداء بمحبتهم.
- بيان المنهاج النبوي الوسطي الذي يجمع بين محبة الصحابة ومودة القرابة رضي الله عنهم.

---

(1) – سنن الترمذي، باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ، ح3789. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. المستدرك على الصحيحين للحاكم، 3/162.

الدراسات السابقة:

- "محبة الرسول بين الاتباع والابتداع"، عبد الرؤوف محمد عثمان: هذه الرسالة تناول الباحث فيها بشرية الرسول ﷺ، وحكم الشرع في محبته، ودواعيها وأسبابها ومظاهرها، ومفهوم اتباعه، ووجوب طاعته، ثم مسائل في الابتداع.

وقد عالج الباحث الموضوع برؤية يشوبها التشدد في الدين. ولم يتطرق إلى مسائل محبة من محبة الصحابة رضي الله عنهم، ومحبة آل البيت، ونماذج من محبة الجيل الأول لرسول الله ﷺ. وهذه المسائل هي الجديد الذي جاء به هذا البحث، فضلا عن معالجة الموضوع برؤية وسطية لا إفراط غلو فيها ولا جفاء.

- محبة النبي ﷺ وتعظيمه، لعبد الله بن صالح الخضري وعبد اللطيف بن محمد الحسن: تحدث الكاتبان فيه عن بعض صور محبة النبي صلى الله عليه وسلم، إضافة إلى بعض مظاهر الجفاء مع النبي ﷺ، ثم انتقل إلى الحديث عن الأسباب الجالبة لمحبة النبي صلى الله عليه وسلم، وفي الأخير تحدث الكاتبان عن طريقة محبة النبي ﷺ.

ولم يتطرق الكتاب إلى فضيلة محبة النبي ﷺ، ونماذج من موكب المحبين، ولم يتطرق أيضا إلى المنهاج النبوي في محبة الآل والصحب ﷺ، وهذا هو الجديد الذي جاء به البحث.

خطة البحث:

تحقيقا للأهداف السابقة سأتناول هذا الموضوع في مبحثين رئيسين:

خصصت الأول للحديث عن فضل محبة سيدنا رسول الله ﷺ ووجوبها ونماذج من الرعيل الأول الجيل القرآني الخالد الذي تفانوا في حبه الشريف ﷺ.

أما المبحث الثاني فقد جعلته لمحبة آل البيت والصحابة رضي الله عنهم.

منهج البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي، وذلك بجمع بعض الأحاديث ووقائع السيرة النبوية المتعلقة بمحبة رسول الله ﷺ، والمنهج التحليلي وذلك بتحليل الأحاديث والمشاهد المنتقاة من أجل الوقوف على هداياتها المتعلقة بمحبة رسول الله

صلى الله عليه وسله وآله وصحبه.

سائلا المولى جل وعلا التوفيق والسداد والرشاد.

المبحث الأول

في محبة سيدنا رسول الله ﷺ

أولا- في وجوب محبة سيدنا رسول الله ﷺ:

إن محبة سيدنا رسول الله ﷺ من مقتضيات الإيمان وواجبات التكليف وهي أصل عظيم من أصول الإيمان يتوقف على وجودها وجود الإيمان، فلا يدخل المسلم في عداد المؤمنين الناجين حتى يكون رسول الله ﷺ أحب إليه من نفسه التي بين جنبيه بل ومن الناس أجمعين(1).

هذا، ولقد حثت الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة على وجوب محبة سيدنا رسول الله ﷺ أكثر من النفس والولد والوالد والناس أجمعين، قال الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: 24]. وقد ذكر الله تبارك وتعالى في هذه الآية الكريمة ثمانية أصناف وهم: الآباء، والأبناء، والإخوان، والأزواج، والعشيرة، والأموال المكتسبة، والتجارات، والمساكن. وهذه الأصناف تمثل بمجموعها كافة الروابط الاجتماعية والاقتصادية وعليها مدار مصالح الخلق في حياتهم. فلم يذم الله تعالى في الآية حب هؤلاء؛ وإنما جعل من مقتضى الإيمان إيثار محبة الله تعالى ورسوله المجتبى ﷺ على حب هذه الأصناف.

قال الإمام القاضي عياض -رحمه الله- في الآية السابقة: "فكفى بهذا حضا وتنبيها ودلالة وحجة على إلزام محبته، ووجوب فرضها وعظم خطرها واستحقاقه لها ﷺ، إذ قرع الله من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله، وتوعدهم بقوله

(1) - محبة الرسول بين الاتباع والابتداع، عبد الرءوف محمد عثمان، ص41.

تعالى: ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾. ثم فسقهم بتمام الآية وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله"[1].

قال القرطبي -رحمه الله-: "في الآية دليل على وجوب حب الله ورسوله، ولا خلاف في ذلك بين الأمة، وأن ذلك مقدم على كل محبوب"[2].

قال الله تبارك وتعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [سورة الأحزاب، الآية 6]: أي طاعته ﷺ أولى من طاعة أنفسهم، واتباعه أولى من اتباع أهوائهم، ومحبته أولى من محبة أنفسهم فبالأحرى أموالهم وأولادهم.

يقول الشيخ السعدي –رحمه الله– في الآية السابقة: "يخبر تعالى المؤمنين، خبرًا يعرفون به حالة الرسول ﷺ ومرتبته، فيعاملونه بمقتضى تلك الحالة فقال: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ أقرب ما للإنسان، وأولى ما له نفسه، فالرسول أولى به من نفسه، لأنه ﷺ بذل لهم من النصح، والشفقة، والرأفة، ما كان به أرحم الخلق، وأرأفهم، فرسول الله ﷺ أعظم الخلق مِنَّةً عليهم من كل أحد؛ فإنه لم يصل إليهم مثقال ذرة من الخير، ولا اندفع عنهم مثقال ذرة من الشر، إلا على يديه وبسببه.

فلذلك، وجب عليهم إذا تعارض مراد النفس، أو مراد أحد من الناس، مع مراد الرسول ﷺ، أن يقدم مراد الرسول ﷺ، وألا يعارض قول الرسول ﷺ بقول أحد، كائنًا من كان، وأن يفدوه بأنفسهم وأموالهم وأولادهم، ويقدموا محبته على الخلق كلهم، وألا يقولوا حتى يقول، ولا يتقدموا بين يديه"[3].

عن عبد الله بن هشام، قال: كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي ﷺ: «لا، والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك» فقال له عمر: فإنه الآن، والله، لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي ﷺ: «**الآن يا عمر**»[4].

(1) – الشفا بتعريف حقوق المصطفى مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء، 18/2.

(2) – الجامع لأحكام القرآن، 95/8.

(3) – تفسير السعدي، ص659.

(4) – صحيح البخاري، كتاب الأيمان والنذر، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ، ح6257.

كما يبين لنا هذا الحديث الشريف أن محبة سيدنا رسول الله ﷺ ليست في مجرد الاتّباع له، بل المحبة له هي أساس الاتباع وباعثه، فلولا المحبة العاطفية في القلب لما وجد وازع يحمل على الاتباع في العمل.

ولقد ضلّ قوم حسبوا أن محبة سيدنا رسول الله ﷺ ليس لها معنى إلا الاتباع والاقتداء. وفاتهم أن الاقتداء لا يأتي إلا بوازع ودافع، ولن تجد من وازع يحمل على الاتباع إلا المحبة القلبية التي تهز المشاعر وتستبد بالعواطف. ولذلك جعل سيدنا رسول الله ﷺ مقياس الإيمان بالله امتلاء القلب بمحبته ﷺ، بحيث تغدو متغلبة على محبة الولد والوالد والناس أجمعين. وهذا يدلّ على أن محبة الرسول ﷺ من جنس محبة الوالد والولد أي مصدر كل منهما العاطفة والقلب وإلا لم تصح المقارنة والمفاضلة بينهما(1).

وقد شَهِدَ الكافرُ المُجَاهِرُ بالعَدَاوَةِ للصحب الكرام ﷺ بحبهم لرسول الله ﷺ قال أبو سفيان في زمان جاهليَّتِهِ لِزَيْدِ بن الدَّثِنَةِ ﷺ وقد اقتادَهُ المشركون ليقتلوه خارجَ أرضِ الحَرَم: «أنشُدُكَ اللهَ يا زَيدُ، أتُحِبُّ أنَّ مُحَمَّدًا عندنا الآنَ مكانَك نَضْرِبُ عُنُقَهُ وأنَّكَ في أهْلِكَ؟ قال: واللهِ ما أُحِبُّ أنَّ مُحَمَّدًا الآنَ في مكانِه الذي هُوَ فِيهِ تُصِيبُهُ شَوْكَةٌ تُؤْذِيهِ وَأنَا جَالِسٌ في أهلي. قال أبو سفيان: ما رأيتُ في النَّاسِ أحَدًا يُحِبُّ أحَدًا كَحُبِّ أصْحَابِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا»(2).

لذلك فإن المسلم لا يبلغ حقيقة الإيمان "حتى يكون الرسول ﷺ أحب إليه من نفسه التي بين جنبيه.

وتلك هي قمة السمو في الحب حين يستعلى المسلم على رغبات النفس وشهواتها، مؤثرا حب رسول الله ﷺ على كل ذلك، ويتبين هذا إذا تعارض أي أمْر أمَر به الرسول ﷺ مع رغبة من رغبات النفس فأيهما تقدم كان الحكم له"(3).

إن محبة الصحابة ﷺ لمولانا رسول الله ﷺ لم تكن ضَرْبًا من التَّعَصُّبِ للسيد

(1) – فقه السيرة النبوية، البوطي، ص140.

(2) – تاريخ الطبري، 2/542.

(3) – محبة الرسول ﷺ، عبد الرؤوف محمد عثمان، ص47.

المقدم في الأُمَّةِ، ولا مجرد تقدير لقائد متفرد في الحكمة؛ بل هي ركن أصيل في اعتقادِ كل مسلم مؤمن، ولقد روى الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب وجوبِ محبةِ رسول الله ﷺ أكثرَ من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين، وإطلاقِ عدم الإيمانِ على من لم يحبَّه هذه المحبةَ عن أنس بن مالك ﵁ قال رسول الله ﷺ: «لا يُؤمِنُ الرَّجُلُ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إليهِ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»(1).

"هذا من جوامع الكلم الذي أوتيه ﷺ، لأنه قد جمع في هذه الألفاظ اليسيرة معاني كثيرة، لأن أقسام المحبة ثلاثة: محبة إجلال وعظمة كمحبة الوالد، ومحبة شفقة ورحمة كمحبة الولد، ومحبة استحسان ومشاكلة كمحبة سائر الناس، فحصر صنوف المحبة "(2).

ومعنى ذلك فإن محبة سيدنا رسول ﷺ من لوازم الإيمان وواجباته فلا يتحقق الإيمان بدونها، ولا يستحق المؤمن اسم الإيمان بدونها، وأن نفي الإيمان في الحديث إنما هو نفي لكمال الإيمان الواجب إذا لم توجد المحبة الراجحة على ما سواها من سائر المحاب فإذا وجدت هذه المحبة على هذه الصفة فهي دليل على كمال الإيمان بالنسبة لمن اتصف بها في هذا الجانب. وأما إذا لم توجد هذه المحبة على الصفة الراجحة كان من اتصف بها معرضا للوعيد لأنه أخل بواجب من واجبات الإيمان التي لا يتم الإيمان بدونها(3).

وهنا لابد من القول بأن محبة سيدنا رسول الله ﷺ على درجتين:

1 – إحداهما- فرض: وهي المحبة التي تقتضي قبول ما جاء به النبي ﷺ من عند الله تعالى، وتلقيه بالمحبة والرضا والتعظيم والتسليم، وعدم طلب الهدى من غير طريقه بالكلية، ثم حسن الاتباع له فيما بلغه عن ربه، من تصديقه في كل ما أخبر به، وطاعته فيما أمر به من الواجبات، والانتهاء عما نهي عنه من المحرمات، ونصرة دينه والدفاع عن شرعه، فهذا القدر لا بد منه، ولا يتم الإيمان بدونه.

---

(1) – صحيح مسلم، ح44. صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان، ح14.

(2)– شرح صحيح البخاري لابن بطال، 1/66.

(3)– محبة الرسول بين الاتباع والابتداع، ص47.

2 – والأخرى: فضل، وهي المحبة التي تقتضى حسن التأسي به، وتحقيق الاقتداء بسنته، في أخلاقه، وآدابه، ونوافله، وتطوعاته، وأكله، وشربه، ولباسه، وحسن محاضرته لأزواجه، وغير ذلك من آدابه الكاملة، وأخلاقه الطاهرة. والاعتناء بمعرفة سيرته وأيامه، واهتزاز القلب من محبته، وتعظيمه، وتوقيره ومحبة استماع حديثه، وإيثاره على كلام غيره من المخلوقين. ومن أعظم ذلك الاقتداء به في زهده في الدنيا والاجتزاء باليسير منها، ورغبته في الآخرة(1).

وخلاصة المرام في تحقيق المقام: إن الحب الصادق ليس مجرد حديث عابر أو عاطفة قلبية مجردة، بل هو عمل وتفان في سبيل إرضاء المحبوب وحمايته واتباعه ونصرته. وهذا ما أكده الصحابة الكرام ﭫ عامة في الحرب والسلم، والعسر واليسر، والمنشط والمكره. مما جعل عروة بن مسعود الثقفي يقول وقد رأى عظيم التقدير والمحبة التي يحف بها الصحابة رسول الله ﷺ: "يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنِّي جِئْتُ كِسْرَى فِي مُلْكِهِ، وَجِئْتُ قَيْصَرَ وَالنَّجَاشِيَّ فِي مُلْكِهِمَا، وَاللهِ مَا رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ مِثْلَ مُحَمَّدٍ فِي أَصْحَابِهِ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ قَوْمًا لَا يُسْلِمُونَهُ لِشَيْءٍ أَبَدًا"(2).

إن محبة النبي ﷺ مَجْلاة للقلوب من الصدأ والكسل، ومَدْعاة لتحريك الهمة للجد والعمل، وهي عماد الدين، وباب النصر والتمكين، إنها السبيل الذي يخرجنا من ذلك المستنقع الآسن، والدرك الهابط، والظلام البهيم، السبيل الموصل إلى جنات النعيم.

إن حبه ﷺ جوهر الحياة وسرها وهو أشرفُ مبتغًى، دونه تهون الأوطان، والأحبابُ والخِلاَّن، والأموال وسائر ما تَحرِص عليه نفس الإنسان، فحاجة العباد إليه فوق كل حاجة، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة؛ لأنَّه لا حياةَ للقلوب ولا نعيمَ ولا طُمأنينةَ إلا به.

تلك المحبة إذن، هي الترياق المجرب، هي المفتاح الذي يقود الأمة إلى الخير والفلاح في الدنيا والآخرة، كما قادت سادتنا الصحابة ﭬ ففتحوا البلاد، وفتحوا

(1)– استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس، ابن رجب الحنبلي، ص85–86.
(2) – مسند أحمد بن حنبل، إسناده حسن. 216/31.

مغاليق قلوب العباد، هي المفتاح الذي يدفع الإنسان إلى اقتحام العقبات الكأداء، من أجل البناء بناء صرح العمران على أس القرآن وسنة النبي العدنان ﷺ .

والمحبة الصادقة في صورها الرائعة كما عاشها الجيل الأول الأنموذج الخالد جيل الصحابة ﷺ والسلف الصالح من بعدهم، هي التي تحتاج إليها الأمة في هذا الوقت؛ إذ هي مصدر المثل العليا والعزة والكرامة، فهي من أجل أعمال القلوب ومن أوثق الروابط، فليست بالأمر الهين اليسير، ولنا في الصحابة أروع الأمثلة في تقديم المحبة على كل شيء حيث تنازلوا لهذه المحبة عن كل أنيس ورفيق، ووالد وولد... وكل ما جبلت عليه النفوس من الطبائع السليمة، وعن الدنيا كلها، ولم يتنازلوا عن هذه المحبة لشيء، فكانوا الصورة الصادقة لها، والكلمة الهادية الباقية عبر سائر العصور والأزمان.

ثانيا: مع موكب المحبين:

إن الصحابة الكرام ﷺ أحبوا سيد الخلق وحبيب الحق حبا عظيما، وتعلقوا به تعلقا شديدا، وملأ حبه ﷺ قلوبهم وسرى في مشاعرهم ووجدانهم وكيانهم.

وسأقتصر في هذا المقام على ذكر نماذج من أولئك العظام الذين تفانوا في حب خير الأنام عليه الصلاة والسلام.

1-الصديق الأكبر ﷺ:

إن أبا بكر الصديق أحب النبي ﷺ حبا خالط عظمه ودمه وكيانه وقلبه وعقله ورحه، حتى أصبح جزءًا لا يتجزأ من تكوينه، والمتتبع لحياته ﷺ يجد أثر هذه المحبة الصادقة في بناء شخصيته وتغيير حياته.

إن الصديق ﷺ يحمل قلبا شديد الحب والاعتزاز والفخر بهذا النبي الأمين ﷺ فهان عليه أمر الدنيا بجوار دينه، فلا يهمه الأهل أو المال أو الولد، إن كان واحد من هؤلاء عقبة في سبيل حبه.

لقد كان لسيدنا أبي بكر الصديق ﷺ مواقف ثبات في الإسلام تنشق منها الأرض وتخر لها الجبال، وتشرئب إليها الأعناق، ويتعجب منها العظماء...وهي أكبر دليل على حبه الشديد لمولانا رسول الله ﷺ.

لقد شهد الصديق الأكبر ﷺ مع سيدنا رسول الله ﷺ جميع المشاهد، ولم يفته منها مشهد واحد.

تقول الصديقة بنت الصديق أمنا عائشة رضي الله عنها: "لما اجتمع أصحاب النبي ﷺ وكانوا ثمانية وثلاثين رجلا ألح أبو بكر على رسول الله ﷺ في الظهور، فقال: "يا أبا بكر إنا قليل".

فلم يزل يلح حتى ظهر رسول الله ﷺ، وتفرق المسلمون في نواحي المسجد كل رجل وعشيرته، وقام أبو بكر في الناس خطيبا، ورسول الله ﷺ جالس، فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسول الله ﷺ، وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين فضربوا في نواحي المسجد ضربا شديدا، ووطئ أبو بكر، وضرب ضربا شديدا، ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين، ويحرفها لوجهه، ونزَّ –أي: وثب– على بطن أبي بكر، ما يعرفُ وجهه من أنفه وجاء بنو تيم يتعادون فأجلت المشركين عن أبي بكر وحملت بنو تيم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله ولا يشكون في موته، ثم رجعت بنو تيم فدخلوا المسجد وقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة، فرجعوا إلى أبي بكر فجعل أبو قحافة وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتى أجاب.

فتكلم آخر النهار فقال: ما فعل رسول الله ﷺ؟ فمسوا منه بألسنتهم وعذلوه، ثم قاموا وقالوا لأمه أم الخير أنظري أن تطعميه شيئا أو تسقيه إياه. فلما خلت به ألحت عليه وجعل يقول: ما فعل رسول الله ﷺ؟ فقالت: والله مالي علم بصاحبك.

فقال اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه، فخرجت حتى جاءت أم جميل فقالت: إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله؟ فقالت: ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك قالت: نعم.

فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعا دنفا، فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح وقالت: والله إن قوما نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر، وإني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم.

قال: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالت: هذه أمك تسمع، قال: فلا شيء عليك منها، قالت: سالم صالح.

قال: أين هو؟ قالت: في دار ابن الأرقم، قال: فإن لله علي أن لا أذوق طعاما ولا أشرب شرابا أو آتي رسول الله ﷺ.

فأمهلتا حتى إذا هدأت الرجل وسكن الناس، خرجتا به يتكئ عليهما حتى أدخلتاه على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال فأكب عليه رسول الله ﷺ فقبله وأكب عليه المسلمون، ورق له رسول الله صلى الله عليه وسلم رقة شديدة.

فقال أبو بكر: بأبي وأمي يا رسول الله ليس بي بأس إلا ما نال الفاسق من وجهي، وهذه أمي برة بولدها، وأنت مبارك فادعها إلى الله وادع الله لها عسى الله أن يستنقذها بك من النار.

قال فدعا لها رسول الله ﷺ ودعاها إلى الله فأسلمت "[1].

ومما يستفاد من قصة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه هو شدة حبه لسيدنا رسول الله ﷺ، وقد رأينا لما أفاق من التعذيب ما قال: سأل عن حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم ولم يسأل عن شيء غيره، بل لم يطمئن حتى أخذوه إليه، واعتبر ما لحقه من التعذيب هينا في سبيل محبوبه.

فرغم ما حلَّ به من آلام وجراح وإيذاء، هان كل ذلك في سبيل الدفاع عن محبوبه الأعظم ﷺ. ولم يكتف بهذا بل طلب الدعاء لوالدته ليكون أهل بيته كلهم في نصرة رسول الله ﷺ والدفاع عنه ونشر دعوته.

إنها المحبة التي تصنع العجائب وتربي الرجال على البذل والفداء بالمهج!

قَالَتْ أم المؤمنين عَائِشَةُ العفيفة الطاهرة رضي الله عنها: «فَبَيْنَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسًا فِي بَيْتِنَا فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، قَالَ: قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ: هَذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مُقْبِلًا مُتَقَنِّعًا فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ فِدَاءٌ لَهُ أَبِي وَأُمِّي، إِنْ جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ لَأَمْرٌ...»[2].

(1) – البداية والنهاية لابن كثير، 3/41.

(2)– مسند أحمد بن حنبل، 42/420. قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

ولما أذن الله تعالى لحبيبه صلى الله عليه وآله وسلم بالهجرة أخبر أبا بكر الصديق بذلك، ففرح أبو بكر ﵁، وقال وهو يبكي من شدة الفرح: «الصحبة يا رسول الله»(1).

وإنَّ الصِّدِّيق الأكبر ليَعْلم أنَّ السُّيوف تنتظره، وأنَّ القلوب الحاقدة تتلهَّف للقبض عليه، وأنَّ الجوائز العظيمة تُعْلَن في مكة للقبض عليه وعلى صاحبه، لكن حبّ الحبيب المصطفى ﷺ تهون من أجله الصعاب والمخاطر، وتقتحم العقبات الكأداء، وتواجه التحديات الجسام.

ثم أعلن سيدنا أبو بكر رضي الله عنه حالة الاستنفار في بيته، فأصبح بيته في حال طوارئ شاملة للتجهيز للرحلة ولِمراقبة حركة قريش ورد فعلهم، ولحماية رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقديمه نفسه وأهله في سبيله.

وفي هذه الرحلة المباركة كان أبو بكر الصديق نعم الصديق ونعم الرفيق لرسول الله ﷺ. عن محمد بن سيرين قال: ذكر رجال على عهد عمر ﵁، فكأنهم فضلوا عمر على أبي بكر رضي الله عنهما، قال: فبلغ ذلك عمر ﵁، فقال: والله لليلة من أبي بكر خير من آل عمر، وليوم من أبي بكر خير من آل عمر، لقد خرج رسول الله ﷺ لينطلق إلى الغار ومعه أبو بكر، فجعل يمشي ساعة بين يديه، وساعة خلفه حتى فطن له رسول الله ﷺ، فقال: «يا أبا بكر، ما لك تمشي ساعة بين يدي وساعة خلفي؟» فقال: يا رسول الله، أذكر الطلب فأمشي خلفك، ثم أذكر الرصد، فأمشي بين يديك، فقال: «يا أبا بكر، لو كان شيء أحببت أن يكون بك دوني؟» قال: نعم، والذي بعثك بالحق، ما كانت لتكون من ملمة إلا أن تكون بي دونك، فلما انتهيا إلى الغار، قال أبو بكر: مكانك يا رسول الله، حتى أستبرئ لك الغار، فدخل واستبرأه حتى إذا كان في أعلاه ذكر أنه لم يستبرئ الحجرة، فقال: مكانك يا رسول الله، حتى أستبرئ الحجرة، فدخل

(1)- صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب إذا اشترى متاعا أو دابة، فوضعه عند البائع أو مات قبل أن يقبض، 2031.

واستبرأ، ثم قال: انزل يا رسول الله، فنزل، فقال عمر: والذي نفسي بيده لتلك الليلة خير من آل عمر[1].

وفي رواية: «سار –أبو بكر– مع النبيِّ ﷺ إلى الغار فلما انتهيا إليه قال: والله لا تدخلَه حتى أدْخلَه قبلكَ، فإن كان فيه شيء أصابني دُونَكَ، فدخل فكَسَحَه، فوجد في جانبه ثُقَبا، فَشَقَّ إزاره، وسدَّها به، فبقي منها اثنان، فألْقَمُهما رِجْليه، ثم قال لرسول الله ﷺ: ادخل، فدخل النبي ﷺ، وَوَضع رأْسه في حَجْرِهِ ونام، فلُدِغَ أبو بكر في رِجْله من الجُحر، ولم يتحرَّكْ مخافةَ أن ينتبه النبيُّ ﷺ، فسقطت دُمُوعُه على وجه النبيِّ صلى الله عليه وسلم، فقال: ما لك يا أبا بكر؟ قال: لُدِغتُ، فِداك –أَبي وأُمِّي– فتفَل عليه النبيُّ ﷺ، فذهب ما يجده، ثم انتقض عليه، وكان سببَ موته»[2].

ومن هذا الموقف العظيم يتبين لنا أن الصديق ﷺ أحب النبي ﷺ حبا ملك عليه لُبَّهُ وفؤاده وجوارحه، حتى إنه يتمنى أن يفدي النبي ﷺ بنفسه وولده وماله والناس أجمعين.

ويحكي الصديق ﷺ عن قصة هجرته مع حبيبنا رسول الله ﷺ ويقول: (أدلجنا من مكة ليلا، فأحيينا ليلتنا ويومنا حتى أظهرنا، وقام قائم الظهيرة، فرميت ببصري هل أرى من ظل نأوي إليه، فإذا صخرة، فانتهيت إليها، فإذا بقية ظل لها، **فسويته، ثم فرشت لرسول الله ﷺ فروة**، ثم قلت: اضطجع يا رسول الله، فاضطجع، ثم ذهبت أنفض ما حولي هل أرى من الطلب أحدا، فإذا براعي غنم يسوق غنمه إلى الصخرة يريد منها الذي نريد – يعني الظل – فسألته فقلت: لمن أنت يا غلام؟ فقال: لرجل من قريش، فسماه، فعرفته، فقلت: هل في غنمك من لبن قال: نعم ، قلت: هل أنت حالب لي قال: نعم، فأمرته فاعتقل شاة من غنمه، وأمرته أن ينفض ضرعها من التراب، ثم أمرته أن ينفض كفيه، فقال هكذا، فضرب إحدى كفيه على الأخرى، فحلب لي كثبة من لبن وقد رويت معي لرسول الله ﷺ إداوة على فمها خرقة، فصببت على اللبن حتى برد أسفله، فأتيت رسول الله ﷺ فوافقته وقد استيقظ، فقلت: أتشرب

(1)– المستدرك على الصحيحين للحاكم، 7/3. قال ذهبي: صحيح مرسل.
(2)– جامع الأصول من أحاديث الرسول، لابن الأثير، ح6426، 605/8.

يا رسول الله؟ **فشرب رسول الله ﷺ حتى رضيت،** ثم قلت: قد آن الرحيل يا رسول الله. قال: فارتحلنا والقوم يطلبوننا، فلم يدركنا أحد منهم غير سراقة بن مالك بن جعشم على فرس له فقلت: هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله قال: «لا تحزن، إن الله معنا»، فلما أن دنا منا وكان بيننا وبينه قيد رمحين أو ثلاثة، قلت: هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله، وبكيت، فقال: «ما يبكيك؟» فقلت: **أما والله ما على نفسي أبكي، ولكني إنما أبكي عليك.** قال: فدعا عليه رسول الله ﷺ فقال: «اللّهم اكفنا بما شئت» قال: فساخت به فرسه في الأرض إلى بطنها، فوثب عنها، ثم قال: يا محمد قد علمت أن هذا عملك، فادع الله أن تنجيني مما أنا فيه، فوالله لأعمين على من ورائي من الطلب، وهذه كنانتي فخذ منها سهما، فإنك ستمر بإبلي وغنمي بمكان كذا وكذا، فخذ منها حاجتك، فقال رسول الله ﷺ: «لا حاجة لنا في إبلك وغنمك»، ودعا له رسول الله ﷺ فانطلق راجعا إلى أصحابه، ومضى رسول الله ﷺ وأنا معه حتى قدمنا المدينة ليلا»)(1).

إنها المحبة الصادقة الخالصة، شرب سيدنا رسول الله ﷺ لكن الصديق ارتوى، ويبكي أبو بكر لكن ليس على نفسه، وإنما على حبيبه ﷺ خوفا أن يمسه أحد بالأذى.

إن الصديق الأكبر رضي الله عنه لا يرى أمامه إلا محبوبه، لا يلتفت إلى غيره... همه سيدنا رسول الله ﷺ بالعشي والإصباح، وفي العسر واليسر، وفي الفرح والقرح، وفي النوم واليقظة، وفي الجهاد والسلم، وفي كل شيء.

قال عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما-: كان سببُ وفاة أبي بكر، هو وفاة رسول الله ﷺ، حيث حزن عليه، وما زال جسمه ينقصُ حتى مات (2).

حزن رضي الله عنه على رسول الله ﷺ حزنا شديدا، واشتدت أشواقه إلى الحبيب الأعظم، والنبي الأكرم، فذاب شوقا إليه؛ لأن حبه صلى الله عليه وسلم راحة الروح، وأُنس النّفس، ونبض الحياة.

---

(1)- دلائل النبوة للبيهقي، 2/483. وينظر: صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، ح3704.

(2)- تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص65.

2- علي المرتضى رضي الله عنه:

أما الإمام علي ﷺ فقد افتدى النبي ﷺ بروحه لما توجه الحبيب محمد ﷺ نحو الغار، نام المرتضى تلك الليلة على فراشه، وهكذا أراد عليٌّ أن يقدم روحه نثارا، ليحفظ روح الرسول الأكبر ﷺ، كما خاطر الصديق رفيق الغار بروحه، فكلاهما قدما الروح نثارا في طريقه، وكلاهما نثرا الروح حفاظا عليه ﷺ.

جاء في سيرة ابن هشام: "فأتى جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ، فقال: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه. قال: فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام، فيثبون عليه، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم، قال لعلي بن أبي طالب: نم على فراشي وتسج ببردي هذا الحضرمي الأخضر، فنم فيه، فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم، وكان رسول الله ﷺ ينام في برده ذلك إذا نام"[1].

وسئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كيف كان حبكم لرسول الله ﷺ قال: «كان والله أحب إلينا من أموالنا وآبائنا وأمهاتنا، ومن الماء البارد على الظمأ»[2].

"من الماء البارد على الظمأ" هو وصف عاطفي دقيق لتعلقهم بخير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام.

إن الإنسان في مجتمع الجزيرة العربية وطقسها الجاف والحار كان يتلهف على قطرات الماء البارد ويقدرها حقا، ولذلك استعير للدلالة على الحب المحمدي الخالد الذي فاق هذا التلهف على الماء البارد في الطقس الحار جدا؛ ليجسد بهذه الصورة الحسية الدقيقة معاني الحب العميق للجناب النبوي الشريف... إن المشترك الجامع بين الوصفين هو الإنقاذ من الهلاك. فقد يشرف الظمي على الهلاك، فإذا بالماء البارد الزلال ينقذه من هذا الهلاك، وفي هذا ما يوحي بالأثر البالغ للحب المحمدي النبوي في إنقاذ النفوس من هلاك الضلال.

(1) – سيرة ابن هشام، 1/ 483.
(2) – الشفا، للقاضي عياض، 2/ 22.

3-أهل المدينة واستقبالهم المحبوب الأعظم ﷺ:

وأما أهل المدينة فقد كانت مشاعرهم في استقبال سيدنا رسول الله ﷺ خير دليل على حبهم الشديد لجنابه الشريف؛ كان يوم دخوله ﷺ المدينة يومًا مشهودًا أغر، ارتجت البيوت وارتفعت الأصوات بالحمد والتسبيح والتكبير، وعم الفرح والسرور والبهجة المدينة وتبسم ثغرها، وهي ترفُل في حلل الفخر والاعتزاز، واستقبله زهاء خمسمائة من الأنصار، وتغنت النساء والصبيان والولائد بالدفوف... عن البراء بن عازب ﷺ قال: «مَا رَأَيْتُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَرِحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ»[1].

إنَّها لحظات يتمنَّى كلُّ مسلم أن يعيشها، وأن يسكُبَ شيئًا من الدُّموع فرحًا بِها، المُوكب يتحرَّك بِبُطء، الطريق قد ازدحم بِسَيل الدُّموع وابتسامات الأطفال ولفتات الجموع، وسار على القَصْواء يُرخي زِمامَها، كُلَّما مرَّ بدارٍ من دور الأنصار أمسكوا بزِمام النَّاقة؛ لِيَنْزل عليهم، وهو يقول: دَعوها؛ فإنَّها مأمورة، وعلى الطُّرق، وفي البيوت لا تكاد تَسْمع إلاَّ "الله أكبر، جاء رسولُ الله ﷺ"، الموكب يتهادى بين القلوبِ، والبيوت، والأطفال يركضون، ويقفزون، ويهتفون، وبِبَراءة العيون في خَللِ الزَّحام عن صاحب النَّاقة يبحثون، وبِلُغتهم يُعبِّرون، فيهم أَنَسٌ يَصِفُ ذلك بِحُروف تنبِض بالمشاعر، فيقول: إنِّي لأَسْعى في الغلمان، وهم يقولون: جاء مُحَمَّدٌ رسول الله ﷺ، فلا أرى شيئًا، وأسعى، ولا أرى شيئًا، حتَّى جاء فخرج أهلُ المدينة، حتَّى إنَّ العواتق فوق البيوت يَتراءَيْنه، فما رأَيْن منظرًا شبيهًا به يومئذ، والله لقد أضاء مِن المدينة كلُّ شيء، ولم يُرَ في تاريخها مِن حفاوة تُعادِلُها حفاوة.

أنسٌ ﷺ لم يَزل الطِّفل الذي لا يَهْدأ، طافَ المدينة يَنظر ويُنقِّل، فيَذكر بعْدُ أنَّ النبي ﷺ مرَّ بحيٍّ مِن بني النجَّار، وجُوَيرياتٌ يُنْشِدن:

نَحْـــنُ جَـــوَارٍ مِـــنْ بَنِـــي النَّجَّـــارِ   يَـــا حَبَّـــذَا مُحَمَّـــدٌ مِـــنْ جَـــارِ

فيقول- ﷺ-: «**اللهُ يعلمُ أن قلبي يُحِبُّكن**»[2].

(1) – صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه ﷺ، ح3710.
(2) - دلائل النبوة، للبيهقي، 2/502. قال في السلسلة الصحيحة: إسناده حسن.ح3154.

4-سعد بن الربيع ﷺ:

بعد انتهاء المعركة فرغ الناس لقتلاهم، فتفقد سيدنا رسول الله ﷺ سعد بن الربيع ﷺ الذي ملأت محبة رسول الله شغاف قلبه، ولم يبال بما أصابه من جراح وهو يحتضر إلا شوقه إلى حبيبه ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ رَجُلٌ يَنْظُرُ لِي مَا فَعَلَ سَعْدُ بْنُ الرّبِيعِ؟ أَفِي الْأَحْيَاءِ هُوَ أَمْ فِي الْأَمْوَاتِ؟**» فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ: أَنَا أَنْظُرُ لَك يَا رَسُولَ اللهِ مَا فَعَلَ سَعْدٌ، فنظر فوجده جريحا في القتلى وَبِهِ رَمَقٌ. قَالَ: فَقُلْت لَهُ: إنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَمَرَنِي أَنْ أَنْظُرَ أَفِي الْأَحْيَاءِ أَنْتَ أَمْ فِي الْأَمْوَاتِ؟ قَالَ: أَنَا فِي الْأَمْوَاتِ، فَأَبْلِغْ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنّي السّلَامَ؛ وَقُلْ لَهُ: إنّ سَعْدَ بْنَ الرّبِيعِ يَقُولُ لَك: جَزَاك اللّهُ عَنّا خَيْرَ مَا جَزَى نَبِيّا عَنْ أُمّتِهِ. وَأَبْلِغْ قَوْمَك عَنّي السّلَامَ؛ وَقُلْ لَهُمْ: إنّ سَعْدَ بْنَ الرّبِيعِ يَقُولُ لَكُمْ: إنّهُ لَا عُذْرَ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ إنْ خَلُصَ إلَى نَبِيّكُمْ ﷺ وَمِنْكُمْ عَيْنٌ تَطْرِفُ .قَالَ: ثُمّ لَمْ أَبْرَحْ حَتّى مَاتَ، قَالَ: فَجِئْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرْته خَبَرَهُ»[1].

إنه سيدنا سعد بن الربيع ﷺ الذي يحذر إخوانه من الأنصار من أن يتمكن أحد من حبيبه ﷺ. وبعد ذلك عرجت روحه إلى ربها. فنلحظ إلى ما ختم به سيدنا الربيع ﷺ حياته حين أثخنته الحرب: نسي ما حل به من آلام وجراح ودماء، وانتهز الفرصة للتعبير عن حبه الشديد لحبيبه وتحذير إخوانه من أن تصل يد عدو إلى حبيبه، انتهز بقية الحياة يتذوق حلاوة ذكر المحبوب يفارق بها الحياة الفانية لينتقل إلى الحياة الخالدة حيث لقاء بلا فراق، ووصال واجتماع. وهكذا كان لتلك الكلمات التي تلفظها أثرها القوي في قلوب المسلمين، كما وجه من خلالها رسالة لأولئك الذين أثخنوه جراحا ما صنعوا فيه، إنهم رفعوه مقاما عليا وقربوه من لقاء حبيبه، وحققوا له أمنيته، وأنه ذاهب إلى الجنة حيث المحبوب الأعظم، وتلك هي الغاية العظمى التي يرجوها كل محب ومن أجلها يبذل الغالي والنفيس.

5-ثوبان مولى رسول الله ﷺ:

وهذا ثوبان مولى رسول الله ﷺ كان شديد الحب لسيدنا رسول الله ﷺ قليل الصبر عنه؛ فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن في وجهه، فقال له رسول الله

(1) - سيرة ابن هشام، 95/2. سيرة ابن إسحاق، ص335.

ﷺ: «ما غير لونك». فقال يا رسول الله: ما بي مرض ولا وجع غير أني إذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك(1).

6- الأنصار ﭬ:

لما رد النبي ﷺ السبايا إلى أهلها وقسم الغنائم لم يعط الأنصار شيئا من تلك الغنائم، فلما رأت الأنصار ما أعطى رسول الله ﷺ، لأولئك -من الغنائم- تكلموا في ذلك؛ فعن سيدنا أبي سعيد الخدري ﭬ قال: « لما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى من تلك العطايا، في قريش وفي قبائل العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيء، وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم، حتى كثرت منهم القالة حتى قال قائلهم: لقد لقي والله رسول الله ﷺ قومه، فدخل عليه سعد بن عبادة، فقال: يا رسول الله، إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم، لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت، قسمت في قومك، وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب، ولم يك في هذا الحي من الأنصار منها شيء. قال: «فأين أنت من ذلك يا سعد؟» قال: يا رسول الله ما أنا إلا من قومي. قال: «فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة». قال: فخرج سعد فجمع الأنصار في تلك الحظيرة. فجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا، وجاء آخرون فردهم. فلما اجتمعوا له أتاه سعد فقال: قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار، فأتاهم رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: «يا معشر الأنصار: ما قالة بلغتني عنكم، وجدة وجدتموها علي في أنفسكم؟ ألم آتكم ضلالا فهداكم الله، وعالة فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم»، قالوا: بلى، الله ورسوله أمن وأفضل . ثم قال «ألا تجيبونني يا معشر الأنصار؟» قالوا : بماذا نجيبك يا رسول الله؟ لله ولرسوله المن والفضل. قال ﷺ: «أما والله لو شئتم لقلتم، فَلَصَدَقْتُمْ ولصُدِّقْتُم: أتيتنا مكذبا فصدقناك، ومخذولا فنصرناك، وطريدا فآويناك، وعائلا فآسيناك. أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم، **ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعوا**

(1) - تفسير الخازن، 1/397. قال الحافظ الضياء المقدسي: لا أرى بإسناده بأسا اهـ. ووافقه ابن كثير. الضياء المقدسي في «صفة الجنة» كما في «تفسير ابن كثير» (1/535).

برسول الله إلى رحالكم؟[1] فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرءا من الأنصار، ولو سلك الناس شعبا وسلكت الأنصار شعبا، لسلكت شعب الأنصار. اللّهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار. وأبناء أبناء الأنصار».

قال: فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا: **رضينا برسول الله قسما وحظا** . ثم انصرف رسول الله ﷺ وتفرقوا "[2].

فانظر إلى أثر الحب العميق في تربية الأنصار ﷺ، حيث جعل تعلقهم بسعادة الحب الخالدة -التي وجدوها في حب سيد الخلق ﷺ لا بالغنائم الزائلة.

وانظر إلى موقفهم الخالد حيث اختاروا رسوله الله ﷺ، ورضوا به حظا وقسما. تالله لقد اختاروا باختيارهم هذا سعادة الدينا والآخرة.

وأكثر من ذلك فقد حكم الأنصار ﷺ سيدنا رسول الله ﷺ في أنفسهم وأموالهم فقالوا: "هذه أموالنا بين يديك فاحكم فيها بما شئت، وهذه نفوسنا بين يديك، لو استعرضت بنا البحر، لخضناه نقاتل بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك "[3].

إنه الحب وكفى.

7-نساء الإسلام رضي الله عنهن:

لم يقتصر حب الجناب الشريف الكريم على الله ﷺ على الرجال فقط، بل حتى النساء كان لهن حظا كبيرا من حبه ﷺ.

---

(1) - التاريخ كله يدور على زخرف الدنيا وغرورها ولعاعة الدنيا الزائلة يسابق إليها الناس ويتنافسون عليها؛ فكان لابد من موقف إيماني عظيم؛ يطفئ غائلة حب الدنيا والتسابق إليها من قلوب مؤمنة صادقة؛ ويربط تلك القلوب بالعقيدة الصحيحة والمحبة العميقة والإيمان الصادق؛ ليبين لهم أن حب الدنيا وحب الله ورسوله لا يجتمعان في قلب واحد، فأدرك المؤمنون هذا المعنى، فاختاروا سيدنا رسول الله ﷺ على حطام الدنيا الفاني.

(2) - سيرة ابن هشام، 2/500. طبقات ابن سعد، 2/154. تاريخ الطبري، 3/94. قال الألباني في السلسلة الصحيحة: إسناده صحيح.

(3) - روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ابن القيم، ص277.

فهذه **أم عمار** زوج ياسر سمية بنت الخياط رضي الله عنها. من السابقين الأولين الذين دخلوا في الإسلام وسابعُ سبعة ممن اعتنقوا الإسلام بمكة المكرمة. ومن المبايعات الصابرات الخيرات اللاتي احتملن الأذى في سبيل الله. وممن بذلوا أرواحهم لإعلاء كلمة الله عز وجل ومحبة سيدنا رسول الله ﷺ. لاقت من صنوف الأذى والتعذيب على أيدي المشركين الكثير لكنها صبرت واحتملت...وهي أول شهيد استشهد في الإسلام.

ومن هؤلاء النساء اللائي ثبتن على حب رسول الله ﷺ ثبات الجبال الشّمِ، **زِنيرة**(1). وكان أبو جهل يقول: ألا تعجبون لهؤلاء واتباعهم محمداً؟ فلو كان أمر محمد خيراً وحقاً ما سبقونا إليه. أفسبقتنا زنيرة إلى رشد، وهي من ترون؟ وكانت زنيرة قد عذبت حتى عميت. فقال لها أبو جهل: إن اللات والعزى فعلتا بك ما ترين، فقالت، وهي لا تبصره: وما تدري اللات والعزى من يعبدهما ممن لا يعبدهما؛ ولكن هذا أمر من السماء، وربي قادر على أن يرد بصري، فأصبحت من تلك الليلة وقد رد الله عليها بصرها، فقالت قريش: هذا من سحر محمد، فاشترى أبو بكر رضي الله عنه **جارية بني المؤمل**(2) وزنيرة، وأعتقهما"(3).

وعلى نفس الخطى في الثبات على المحبة تسير **لُبَيْبَة** -رضي الله عنها- جارية بني المؤمَّل.. وتتحمل الأذى والتعذيب في سبيل الله صبرا واحتسابا..

وكانت **النهدية** مولدة لبني نهد بن زيد. فصارت لامرأة من بني عبد الدار فأسلمت، فكانت تعذبها وتقول: والله لا أقلعت عنك أو يُعتقك بعض من صبأ بك. فابتاعها أبو بكر أيضاً، فأعتقها.

---

(1) – هي: زِنِّيرة كانت من السابقات إلى الإسلام، وممن يعذب في الله، وهي من السبعة الذين اشتراهم أبو بكر الصديق وأنقذهم من التعذيب. الإصابة لابن حجر، ترجمة رقم: 11216، 664/7.

(2) – هي: لبيبة جارية بني المؤمل بن حبيب بن تميم بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب كانت أحد من يعذب من المستضعفين. الإصابة، ترجمة رقم: 11701، 100/8.

(3) – أنساب الأشراف، البَلَاذُري، ص196.

وكانت **أم عبيس**[1] وبعضهم يقول أم عنيس، أَمةً لبني زُهرة، فكان الأسود بن عبد يَغُوث يعذبها، فابتاعها أبو بكر ﷺ وأعتقها[2].

إن النساء جياشات العواطف، فأن تسمع عن امرأة تحب رسول الله ﷺ فلا غرابة لكن أن تسمع عن امرأة تفقد زوجها وأخاها وابنها فلا تنتبه لانشغالها بحب آخر فذاك هو الجديد في عالم الحب.

كان ذلك لما انتهت غزوة أحد حيث خرجت أم المؤمنين عائشة الصديقة-رضي الله عنها- زوج النبي ﷺ في نسوة تَسْتروِح الخبر، وفي طريقها لقيت **هندًا بنتَ عمرو بنِ حرام** أخت عبد الله بن عمرو ابن حرام تسوق بعيرا لها، عليه زوجُها عمرو بنُ الجموح، وابنها خلاد بن عمرو، وأخوها عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر.

فقالت عائشة: عندك الخبر، فما وراءك؟ فقالت هند: خيرا، أما رسول الله فصالح وكل مصيبة بعده جلل.

قالت: من هؤلاء؟ قالت أخي، وابني خلاد وزوجي عمرو بن الجموح. قالت: فأين تذهبين بهم؟ قالت: إلى المدينة أُقبِرهم فيها...

تذهب لتقبرهم.. لم تنح ولم تصرخ.. ولم تشق جيوبها.. ولا شعرها.. إنه الحب الخالد الذي تَهون أمامه كلَّ المصائب والخطوب..

وتأتي أم سعد بن معاذ تعدو-رضي الله عنها-، وسعد آخذ بلجام فرسه، فقال: يا رسول الله أمي، فقال: مرحبا بها. ووقف لها. فدنت حتى تأملت رسول الله ﷺ، فعزَّاها رسول الله ﷺ بابنها عمرو بن معاذ. فقالت: أما إذا رأيتك سالما فقد اشتَويتُ المصيبة -أي استقليتها-؛ ودعا رسول الله ﷺ لأهل من قتل بأحد: أي بعد أن قال لأم

---

(1) - هي: أم عبيس أسلمت وهي زوج كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ولدت له عبيسا فكنيت به، وهي من السبعة الذين أعتقهم أبو بكر الصديق، الإصابة، ترجمة رقم: 12159، 257/8.

(2) - أنساب الأشراف، ص195-196.

سعد: يا أم سعد أبشري، وبشري أهلهم أن قتلاهم ترافقوا في الجنة جميعا، وقد شفعوا في أهلهم جميعا، قالت: رضينا يا رسول الله، ومن يبكي عليهم بعد هذا؟!(1).

كل شيء بخير ما دام رسولُ الله ﷺ بخير، وكل مصيبة جلل ما دام رسول الله ﷺ سالما.. هكذا كان حب رسول الله ﷺ عند هؤلاء النساء أقوى من كل أنواع الحب الأخرى..

ومن روائع قصصِ المحبة قصةُ **امْرَأَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ** مِنْ بَنِي ذُبْيَانَ فَقَدْ أُصِيبَ زَوْجُهَا وَأَخُوهَا يَوْمَ أُحُدٍ، فَلَمَّا نُعُوا لَهَا، قَالَتْ: مَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّه ﷺ؟ قَالُوا: خَيْرًا يَا أُمَّ فُلَانٍ، فَقَالَتْ: أَرُونِيهِ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَأَشَارُوا لَهَا إِلَيْهِ حَتَّى إِذَا رَأَتْهُ قَالَتْ: كُلُّ مُصِيبَةٍ بَعْدَكَ جَلَلٌ(2).

أرونيه.. إن بين حناياها قلبا قد عرف حقيقة الشوق والذوق.. فلا يقر له قرار حتى ينظر إلى محبوبه.. أرونيه حتى أنظرَه، قالوا: هو ذاك قد أقبل فانظريه، فأقبل بوجه أضوأ من القمر ومن الشمس في رابعة النهار.. وقد كان وجهُهُ ﷺ إذا نظر الناظر إليه يحسِب الشمسَ تجري فيه..

فلما أقبل سيد الوجود ﷺ بوجهه الوضاء ونظرت إلى طلعته البهية هيَّج معنًى دفينا في قلبها من محبته.. هيَّجت طلعته وهِيجَ فقدِها لأحب الناس إلى أمثالها من ولد وزوج وأخ وأب.. هيج فيها معنى الحزن، وقابل ذلك تهيجُ معنى المحبة فأمسكت بطرف ثوب رسول الله ﷺ وصاحت قائلة: كلُّ مصيبة بعدك جلل يا رسول الله! يعني: لا شيء ما دمت بخير.

ولقــد جعلتــك في الفــؤاد محــدثي وأبَحْــتُ جســمي مــن أراد جلــوسي
فالجســم منــي للجلــيس مــؤانس وحبيــبُ قلبــي في فــؤادي أنيسي

ولم ينحصر التفاني في حب سيدنا رسول الله ﷺ على أفراد النساء فقط، بل كانت هناك أسر بأكملها تفانت في حبه ﷺ، وجعلت نفسها ونفيسها فداءً له؛ **كآل ياسر وآل أبي بكر وآل جحش** الذين أشرقت منهم شمس أم المؤمنين زينب بنت جحش

(1) – السيرة الحلبية، 2/345.
(2) – دلائل النبوة، البيهقي، 3/302. روي بسند مرسل.

القرآنية، أضف إلى هؤلاء موكبَ النور وكتائبَه من النساء اللواتي بَايَعن رسول الله ﷺ على المحبة والطاعة وهاجرن الهجرتين إلى الحبشة والمدينة المنورة..

ومجمل القول: لا حدود للتفاني في محبة الجناب الشريف ﷺ حتى يكون أحب إلينا من الناس أجمعين ومن أنفسنا.

المبحث الثاني

الوسطية في محبة آل بيت النبي ﷺ وأصحابه

أولا- محبة الصحابة ﷺ بين الجفاء والوفاء.

إن الإسلام لا يقوم بالنصوص وحدها، وإنما يقوم على أكتاف الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، يحملون رسالة الإسلام ولا تتنازعهم الأهواء، ولا تخطف أبصارهم الأضواء، ولا يسعون إلى زعامة أو سلطة، ولا يطلبون الدنيا بالدين، ولا يلهثون وراء سراب الملذات الفانية..

يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم، يقولون الحق ولو كان مرا، يحافظون على كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ، عاملين بما جاء فيهما متخلقين بما تخلق به رسولهم ﷺ لا يضرهم من خالفهم، ولا يخشون في الحق أحدا، تنافسوا في نشر الدين، ومحبة خير المرسلين ﷺ، زرعوا الخير ولم ينتظروا حصاد جهدهم في الدنيا، فإنها ليست لهم بدار قرار، وإنما دارهم هناك حيث المحبوب الأعظم.. تآلفت قلوبهم، وصفت نفوسهم، وتشابكت أيديهم، فكانوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، لا تؤثر فيهم الأنواء ولا الأهواء.

إنهم رجال الإسلام الأوائل الرعيل الأول، صحابة رسول الله ﷺ الذين اختارهم الله لصحبه نبيه، فجعلهم له وزراء وأنصارا، وفضلهم على سائر الأمة، فرفع قدرهم، وأعلى شأنهم، وأتى في القرآن بذكرهم، وسبقت منه الحسنى لهم، وبالرضا والرضوان عمهم، وتوعد من آذاهم أو انتقص منهم أو سبهم، فطوبى لهم ثم طوبى، ولمن أحبهم، ولكل عبد عرف قدرهم، فسار على منهاجهم واتبع هديهم واقتفى أثرهم.

فهم الذين نشروا دين الإسلام في ربوع الأرض، وهم الذين ذادوا عن حمى نبيهم، وهم الذين حملوا إلينا القرآن ونقلوا إلينا سنة خير الأنام، وأخذ منهم العلماء والفقهاء آراءهم واجتهاداتهم، فوجب على كل مسلم توقيرهم ومحبتهم، إنهم شخصيات فذة كالنجوم الزواهر والبحار الزواخر بأيهم اقتديت اهتديت.

وكلهم رضي الله عنهم عدول لثبوت هذا بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة؛ حيث أخبر الله تعالى في كتابه الحكيم وسيدنا رسول الله ﷺ في سنته الشريفة بطهارتهم ومكانتهم وما بذلوه من جهود وأموال وأرواح ومهج في سبيل نصرة الإسلام والذود عن حماه، وقوة إيمانهم ويقينهم ومقاتلتهم الأهل والأقارب دفاعا عن دين الله.

ولا أعدل ممن ارتضاه الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ ونصرته ومحبته، ولا تزكية أفضل من ذلك، والآيات القرآنية التي تثني عليهم كثيرة ومواضعها متعددة ومتنوعة، تشمل جميع نواحي الحياة، وتقف سدا منيعا وحصنا حصينا تتبدد عند عتباته كل أمواج التشكيك والتضليل التي يطلقها أعداء الصحابة، وتتبخر كل أساطيرهم التي واظبوا على نسجها وصناعتها، منذ أيام رأس الخبث والمكر اليهودي ابن سبأ.

قال الله تبارك وتعالى في عدالة الصحابة ﷺ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: 29].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ» [1].

عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَن سب أصحابي، فعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين» [2].

الصحابة ﷺ لهم مكانة عالية في كتاب الله، يُشَرَّفُون فيه ويشكر جهادهم ويُشهد لهم بالفلاح. في أي وادٍ من وِديان الضلال يسلك المبغضون الثالبون لمن قال فيهم الحبيب المصطفى ﷺ: «الله الله في أَصْحَابِي لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ

(1) - صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، بَابُ تَحْرِيمِ سَبِّ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، ح2450.

(2) - المعجم الكبير للطبراني، 142/12. أورده الألباني في السلسلة الصحيحة (2340).

فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللهَ، وَمَنْ آذَى اللهَ أَوْشَكَ أَنْ يَأْخُذَهُ»(1).

فهم القنوات الطاهرة التي نقلت إلينا الدين وسنة خير المرسلين ﷺ. إنهم حلقة الوصل بين الأمة وبين نبيها الكريم وأن قطع هذه الحلقة يعني قطع صلة الأمة بنبيها ﷺ.

فـإنهم شـمس فضـل هـم يظهـرن أنوارهـا للنـاس في
كواكبهـ الظُّلَـ م

قال الإمام الطحاوي رحمه الله: " نحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان "(2).

قال الإمام ابن قدامة المقدسي–رحمه الله–: "ومن السنة تولي أصحاب رسول الله ﷺ ومحبتهم وذكر محاسنهم، والترحم عليهم، والاستغفار لهم والكف عن ذكر مساوئهم وما شجر بينهم. واعتقاد فضلهم ومعرفة سابقتهم "(3).

ومع وضوح هذا الأمر لعامة المسلمين وخاصتهم إلا أننا نرى بعض الطوائف المنتسبة إلى الإسلام غلت وجفت حق الصحب الكرام ﷺ وقصرت في حقهم، بل الأدهى من ذلك والأمر ثلبهم لكبار الصحابة ﷺ، وانتقاصهم من قدرهم ومكانتهم وعدالتهم.. حيث انتقصوا من أبي بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان الزكي ورجال الأنصار وغيرهم، كما انتقصوا من مكانة السيدة العفيفة الطاهرة حبيبة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأم المؤمنين عائشة الصديقية رضي الله عنها وعن أبيها.

إن لدى بعض الطوائف ميراث بخسٌ لئيم من الاستهانة بالصحابة الكرام البررة ﷺ. وهذا بؤس وحرمان والعياذ بالله. والقائل بذلك يكذب الله الذي شهد للصحابة

(1) – المسند، أحمد بن حنبل، 27/358. قال شعيب الأرناؤوط: لإسناده ضعيف.

(2) – شرح العقيدة الطحاوية، لأبي العز الحنفي، ص467.

(3) – لمعة الاعتقاد، ص39.

في كتابه المجيد بالأفضلية والسابقية، ويكذب رسوله ﷺ الذي بلغ وربى وأوصى بالاقتداء والاهتداء والعهد.

قال الإمام النووي –رحمه الله–: "وفضيلة الصحبة، ولو لحظة، لا يوازيها عمل، ولا تنال درجتها بشيء، والفضائل لا تؤخذ بالقياس، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء"(1).

وقال الإمام ابن حزم –رحمه الله– في الصحب الكرام ﷺ: "كلهم عدل إمام فاضل فرض علينا توقيرهم وتعظيمهم وأن نستغفر لهم ونحبهم، وتمرة يتصدق بها أحدهم أفضل من صدقة أحدنا بما يملك، وجلسة من الواحد منهم مع النبي ﷺ أفضل من عبادة أحدنا دهره كله"(2).

وقال الإمام القاضي عياض –رحمه الله–: "ومن توقيره وبره ﷺ توقير أصحابه وبرهم ومعرفة حقهم، والاقتداء بهم، وحسن الثناء عليهم، والاستغفار لهم، والإمساك عما شجر بينهم، ومعاداة من عاداهم، والإضراب عن أخبار المؤرخين وجهلة الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة في أحد منهم"(3).

وهكذا فإن اعتقاد أهل السنة في الصحابة ﷺ: وسط بين طرفي الإفراط والتفريط، وسط بين المفرطين الغالين الذين يرفعون من يعظمون منهم إلى ما لا يليق إلا بالله أو برسله، وبين المفرطين الجافين الذين ينتقصونهم ويسبونهم، فهم وسط بين الغلاة والجفاة، يحبونهم جميعًا وينزلونهم منازلهم التي يستحقونها بالعدل والإنصاف، فلا يرفعونهم إلى ما لا يستحقون ولا يقصرون بهم عما يليق بهم، فألسنتهم رطبة بذكرهم الجميل اللائق بهم وقلوبهم عامرة بحبهم، وما صح فيما جرى بينهم من خلاف فهم فيه مجتهدون، إما مصيبون ولهم أجر الاجتهاد، وأجر الإصابة، وإما مخطئون ولهم أجر الاجتهاد وخطؤهم مغفور، وليسوا بمعصومين، بل هم بشر يصيبون ويخطئون،

---

(1) – شرح النووي على صحيح مسلم، 16/93.

(2) – الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم، 5/89.

(3) – الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ – مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء، 2/52.

ولكن ما أكثر صوابهم بالنسبة لصواب غيرهم، وما أقل خطأهم، إذا نسب إلى خطأ غيرهم، ولهم من الله المغفرة والرضوان[1].

قال الإمام ابن تيمية-رحمه الله-: "وكذلك أهل السنة في الإسلام متوسطون في جميع الأمور. فهم في علي ﷺ وسط بين الخوارج والروافض. وكذلك في عثمان ﷺ وسط بين المروانية وبين الزيدية. وكذلك في سائر الصحابة ﷺ وسط بين الغلاة فيهم والطاعنين عليهم"[2].

ثانيا- محبة آل البيت ﷺ بين الغلو والاعتدال.

لقد كان الروافض أول من فتح باب الغلو في الأشخاص وذلك بغلوهم في أمير المؤمنين علي ﷺ وذريته ﷺ حتى ذهبوا في ذلك مذاهب شتى وطرائق قددا، وبلغ الغلو ببعض فرقهم في علي ﷺ حتى أخرجوه من نطاق البشرية إلى مرتبة الألوهية...

إن سيف عليّ ﷺ له فضل كبير على الأمة. لكن هذا الفضل لا يمكن أن يحجب أو ينتقص من فضل المهاجرين البواسل والأنصار الأخيار ﷺ الذين ذادوا عن حمى الدين بأموالهم وأنفسهم وأولادهم؟!

وهكذا؛ فإن اِدّعاءَ العصمة لأحد من البشر دون النبوة تجاوز لكل الحدود، وفتح لترعة لا تسد، يدخل منها على الدين كل باطل.

لقد كانت خرابية الغلاة الروافض وضلالتهم من جهة غلوهم في بعض أئمتهم، وطعنهم في الصحب الكرام ﷺ. وقد رفع النصارى المسيح ابن مريم -عليهما السلام- إلى مرتبة الألوهية فوقعوا في الخسران المبين.

وإذا كان الغلو مذمومًا، فإن هذا لا يعني أن يتصف المسلم بنقيض ذلك حتى يصل إلى الجفاء، بل المؤمن الحق هو الذي يتصف بالوسطية والاعتدال في شؤونه كلها.. فيخرج من دائرة الغلو أو الجفاء إلى رحاب حب آل البيت ﷺ وتوقيرهم وتعظيهم وعدم الخروج عن نهجهم وأخلاقهم.

---

(1) - عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة، عبد المحسن العباد، مجلة الجامعة الإسلامية، ص32،33، العدد الثاني، شوال 1391هـ.
(2) - منهاج السنة النبوية، 5/173.

لكن بعض الطوائف المنتسبة للإسلام لما انحرفت عن هدي خير الأنام عليه الصلاة والسلام أحدثت في دين الله جل وعلا ما ليس منه، وغيرت وبدلت وغلت وجفت في محبتها لآل بيت النبي ﷺ غلوا وجفاءً أخرجها عن جادة الصراط المستقيم الذي قال الله جل وعلا فيه: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾[الأنعام: 153].

إن حبل المحبة يريده الله تعالى ورسوله المجتبى ﷺ رباطا ممتدا بين أجيال المسلمين، موصولا من قلب لقلب إلى منبع النور. الآصرة النبوية تضم إليها الأمة من قنوات الحب في الله، تَخُصُّ بالوصية قنوات آل البيت الأطهار ﷺ وقنوات الصحابة الأبرار ﷺ، وتنعَتُهما نَعْتا.

عن زيد بن أرقم ﷺ قال: قام رسول الله ﷺ يوما فينا خطيبا، بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال: «أما بعد، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به». فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: «وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»[1].

لقد انفصمت عُرى دين من فرق بين ما جمعه رسول الله ﷺ في وصيته: آل بيته وأصحابه. الثقلان: الكتاب والعترة الطاهرة. الكتاب والسنة الطاهرة التي قاتل عنها وبلغها الصحب الكرام.

بئس ما خلفنا رسول الله ﷺ إن أصررنا على مضغ المآسي التاريخية والرواسب الماضية فكرهنا الصحابة ﷺ، وثلبنا الصحابة ﷺ، ونقصنا الصحابة ﷺ، وطَعَنَّا في شهادة الله ورسوله ﷺ للصحابة.

وبئس ما خلَفناه ﷺ إن تركنا رواسب أهل الدنيا التي قتلت حُرْمَة آل البيت بعد أن ذبحت آل البيت.

حب آل البيت ﷺ من صميم الدين، وكذلك حب الصحابة ﷺ.

(1) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ، ح2408.

وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ أشد الناس حبا وتعظيما لآل بيت ﷺ لمعرفتهم بمكانتهم من النبي ﷺ وامتثالا للوصية النبوية، كما كان آل البيت أشد حبا لأصحاب سيدنا رسول الله ﷺ وتقديرا لهم.

لقد تنكب فريقان عن المنهاج النبوي الوسطي المعتدل:

الروافض الذين تنخر فيهم التعاليم الضالة فيندبون أنفسهم للمحافظة على كل هذه الأمراض العقائدية التاريخية، ويعميهم الحب المتعصب الجاهل الحاقد لآل البيت فيسبون الصحابة.

والنواصب الذين أعمتهم الدنيا عن فضيلة آل البيت ومكانة آل البيت ومحبة آل البيت ونور آل البيت وسر آل البيت...

غالى الروافض في بعض أئمة آل البيت حتى تجاوزوا القدر الذي يكون به الاهتداء. وسكتت طائفة أخرى سكوتا مريبا عن مكانة آل البيت وعن الوصية النبوية بهم.

وفي مقابل الروافض نجد النواصب والخوارج في الماضي والحاضر الذين آذوا أهل البيت بأقوالهم وأفعالهم، ففي الماضي سُبّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأبناءه وذريته وغيرهم من الهاشميين بسبب البغض المفرط والحقد الشديد.

وفي الحاضر أبت بعض النفوس المريضة إلا أن تسيء إلى آل بيت النبوة بشتى الأساليب المهينة التي لا تليق بمقامهم ومنزلتهم العظيمة التي أنزلهم الله إياها.

ومجمل القول: إن محبة أهل بيت النبوة لا يكون مؤمنا من لا يدين الله بها، والمغالي في ذلك إلى درجة لا يقبلها العقل والنقل إنما هو عقدة لإرادة مكبوتة ومرض دفين، وأثرا تاريخيا لجرح أبى أن يندمل.

والمنهاج النبوي وسطي في ذلك لا جفاء ولا غلو. إذ مكانتهم رضي الله عنهم لا يشك فيها مسلم، ولا يقصر عن حبهم إلا محروم، ولا ينكر فضيلتهم إلا جاحد... فهم الذين اصطفاهم الله تعالى واجتباهم من سائر الخلق، وأعلى مقامهم، وطهرهم تطهيرا.. فالسعيد من وفقه الله لمحبتهم وتعظيمهم.. والشقي من حرم هذا كله.

ولله در الإمام الشافعي رضي الله عنه القائل:

"يا آلَ بَيتِ رَسولِ اللَهِ حُبَّكُمُ ❋❋ فَرضٌ مِنَ اللَهِ في القُرآنِ أَنزَلَهُ

يَكفيكُمُ مِن عَظيمِ الفَخرِ أَنَّكُمُ ❋❋ مَن لَم يُصَلِّ عَلَيكُم لا صَلاةَ لَهُ".

خاتمة

من خلال ما تقدم من الحديث عن محبة سيدنا رسول الله ﷺ وآل بيته وأصحابه رضي الله عنهم توصلت إلى النتائج الآتية:

- إن محبة سيدنا رسول الله ﷺ هي إيثار حبه ﷺ وأمره ومراده على كل من سواه من الناس وعلى النفس وما جبلت عليه. وهي أصل من أصول الدين وركن أساس من أركان الإيمان لا يصح الإيمان بدونه.

- إن محبة رسول الله ﷺ تتجلى في الميل القلبي والانجذاب العاطفي نحوه ﷺ وفي صدق اتباعه، والتأسي به، والسير على منهاجه، وتعظيمه وتوقيره والقيام بحقوقه وموافقة أمره في كل صغيرة وكبيرة.

- إن الوسطية النبوية في محبة الصحابة رضي الله عنهم تقتضي منا محبتهم موالاتهم والترضي عنهم، بلا غلو يجعلهم فوق مرتبة الصحبة ومقام النبوة، ولا جفاء يثلبهم وينتقص من منزلتهم العظيمة.

- إن الوسطية النبوية في آل البيت عليهم السلام، أن نحبهم ونعظهم ونوقرهم وننزلهم المنازل التي يستحقونها بالعدل والإنصاف لا بالهوى والتعصب الأعمى المقيت.

- إن جهل الكثير من الطوائف المسلمة بمحبة الآل والصحب رضي الله عنهم أدى بها إلى انحرافات عقدية خطيرة كان لها أثرها البالغ على وحدة الأمة وجماعتها.

وفي الختام لابد من العودة إلى قيم الاعتدال والوسطية في السيرة النبوية العطرة والمنهاج النبوي اللاحب فيما يدين به المسلم ربه عمومًا وفيما يتعلق بمحبة آل البيت والصحابة رضي الله عنهم خصوصًا. والحمد لله في البدء والختام والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الأنام ﷺ وآله وصحبه الكرام.

❋❋❋

ثبت المصادر والمراجع

1- **القرآن الكريم برواية حفص.**

2- **الإحكام في أصول الأحكام**، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: 456هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، قدم له: إحسان عباس، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

3- **الإصابة في تمييز الصحابة**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1: 1415هـ.

4- **أنساب الأشراف**، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر – بيروت، ط1: 1417هـ/1996م.

5- **البداية والنهاية**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط1: 1408هـ/ 1988م.

6- **تاريخ الخلفاء**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، تحقيق: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط1: 1425هـ/2004م.

7- **تاريخ الطبري**، لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري (المتوفى: 310هـ)، دار التراث، بيروت، ط2/1387هـ.

8- **لباب التأويل في معاني التنزيل**، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: 741هـ)، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1: 1415هـ.

9- **تفسير القرآن العظيم**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2: 1420هـ/ 1999م.

10- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1: 1420هـ/2000م.

11- **استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس**، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت: 795هـ)، تحقيق: مجدي قاسم، دار الصحابة للتراث بطنطا، ط1: 1411هـ/1999م.

12- **جامع البيان في تأويل القرآن**، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1: 1420هـ/2000م.

13- **الجامع لأحكام القرآن** (تفسير القرطبي)، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط2: 1384هـ/1964م.

14- **دلائل النبوة**، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، ط1: 1408هـ/1988م.

15- **سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)**، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (المتوفى: 151هـ)، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر – بيروت، ط1: 1398هـ/1978م.

16- **السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون**، علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدين ابن برهان الدين (المتوفى: 1044هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط2: 1427هـ.

17- **السيرة النبوية**، أبو جمال الدين محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (المتوفى: 213هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط2: 1375هـ/1955م.

18- **شرح صحيح البخاري**، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت: 449هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط2: 1423هـ/2003م.

19- **شرح العقيدة الطحاوية**، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: 792هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط1: 1418هـ.

20- **الشفا بتعريف حقوق المصطفى** مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت: 544هـ)، الحاشية: أحمد بن محمد بن محمد الشمنى (ت: 873هـ)، دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، 1409ه/1988م.

21- **روضة المحبين ونزهة المشتاقين**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1403هـ/1983م.

22- **صحيح البخاري** (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه)، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (ت: 256هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1: 1422هـ.

23- **صحيح مسلم** (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم)، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

24- **صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان**، محمد بشير السهسواني الهندي، (المتوفى 1326هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين، (د،ن)، ط5: 1395هـ/1975م.

25- **عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة**، عبد المحسن العباد، مجلة الجامعة الإسلامية، ص32،33، العدد الثاني، شوال 1391هـ.

26- **فضائل الصحابة**، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، تحقيق: وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط1: 1403هـ/ 1983م.

27- **فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة**، محّمد سَعيد رَمضان البوطي، دار الفكر – دمشق، ط: 25، 1426هـ .

28- **لمعة الاعتقاد**، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: 620هـ)، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط2: 1420ه/2000م.

29- **محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع**، عبد الرؤوف محمد عثمان، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد إدارة الطبع والترجمة بالمملكة العربية السعودية، الرياض، ط1: 1414هـ.

30- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط3: 1416هـ/ 1996م.

31- **المسند**، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: 241هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1: 1421هـ/2001م.

32- **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: 728هـ)، تحقيق: محمد رشاد سالم، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1: 1406هـ/ 1986م.

33- **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط2: 1392هـ.